الصِّناعة المُعجمية الحديثة بين النَّظرية والتَّطبيق
مادّة "الرأس" في القَواميس العربية

أ.د. رشيد بن مالك
مدير سابق لمركز البحث العلمي
والتقني لتطوير اللغة العربية
الجزائر

0.الإطار المنهجي العامّ

نهدفُ من خلال هذه الدراسة إلى الاقتراب المنهجي من المفاهيم الأساسية في الصّناعة المعجمية الحديثةِ والسّبل الكفيلةِ بتحديدها وضبط أُطرها المنهجية نظرياً وتطبيقياً. ونَعتبر هذه الخُطوة أساسية من الناحية الإجرائية، لأنها ستعملُ على إزالة الالتباسات التي تكون نتيجةً للمنطلقات غير المؤسسة ونتيجة لهذه النزعة، أيضا، في التعامل مع المفاهيم وكأنها مُحررة من النسق العامِّ الذي تنتمي إليه.إن الحديثَ عن الصناعة المعجمية الحديثة يستوجبُ تعميق المعرفة حول المفاهيم المتاخمة لها (المعجم، القاموس، المعجمية، الرّصيد اللغوي) والتي غالبا ما تتداخل معها. وسيقودنا هذا التحديد الذي نعتبره ضرورياً في أيِّ ممارسة معجمية، إلى إثارة بعض القضايا المقترنة بالاقتراب المعَنْمي من المفردات اللغوية وإمكانية إدراجه في الصناعة المعجمية نظراً للحلول التي يقدمها في تنظيم المادة المعجمية. وسنركِّز في هذا على المُسلمة المركزيةِ التي ينهض عليها التحليل المعنمي وهي أن مدلول المفردة قابل للتجزئةِ إلى وحدات معنوية صغرى. وستمكننا هذه الوقفة من تسليطِ بعض الأضواء على الجوانب التطبيقية التي كان لها عميق الأثر في بلورة التحليل المعْنمي، وتبيان أهميته في ترتيب المادة المعجمية. وستمكننا هذه الوقفة من تقصّي مفردة **الرأس** في بعض القواميس

العربية القديمة والحديثة بقراءة شروحاتها وتجلية مستوياتها الدلالية، والنظر في طريقة توزيعها، واقتراح بعض البدائلِ لتنظيم المادة المعجمية لهذه القواميس.

1. المفاهيمُ الأساسية في الصِّناعة المعجمية الحديثة.

1.1. بين المعجمية والرصيد اللُّغوي والصِّناعة المعجمية

من الواضح أن المعجمية (lexicologie) تُستعمل للدلالة على دراسة المعجم (lexique) والرّصيد اللغوي (vocabulaire) في علاقاته بكل المكونات اللّغوية الأخرى. وتعدُّ المعجمية مادة تعليمية حديثة العهد ظهرت لأول مرة في الموسوعة الفرنسية في حدود 1765، ولم تكن الفَوارق بينها وبين الصناعة المعجمية (lexicographie) آنذاك واضحة المعالم، إذ كثيراً ما كان يقع بينهما الالتباسُ إلى درجة اعتبارهما مُترادفين. وبفضل تعاليم ف.دِي سُوسير حقّقت المعجمية استقلاليتها. ولعل أهم إنجاز أرسَاهُ سوسير في هذا المجال يكمن في انتقاده التّصور الذي يقضي بأن اللغة مجرد قائمة من التسميات، بالتشديد على أن معنى الكلمة سِلبي خالص بما أنها منخرطة في نظام من العلاقات وتأتي حقيقتها الدالة من القيود التي يفرضها هذا النظام ؛ وعلى هذا الأساس، فإن الكلمة تسهم في بنية المعجم التي ينبغي أن تُدرس في إطار العلاقات النَّظمية والاسْتبدالية[1]. وباعتباره مصطلحاً لسانياً عاما يُستعمل المعجم lexique للدلالة على مجموع الوحدات المكونة للرصيد اللغوي لجماعة أو لنشاط إنساني أو لمتكلم.و يقودنا هذا التعريف إلى النظر في الزّوْج مُعجم/ رَصيد لغوي(lexique/vocabulaire) على أنه مرتبط بالمقابلة لسان/ كلام (في مُصطلحيّة سوسير) ولسان/ خطاب (في مُصطلحية غْيُوم)، وعلى هذا الأساس يحيل المعجم على اللسان والرصيد اللغوي على الخِطاب. ومن ثمّ، فإن المعجم يتشكل من وحدات مضمرة هي المفردات (lexèmes) وتتحول هذه إلى ألفاظ بمُجرد تحيينها في الكلام أو الخطاب. يشكل مجموع الألفاظ الرَّصيد اللغوي الذي يكون بالضرورة مَرْبوطا بنصٍّ شفوي أو مَكتوب، طويل أو قصير، مُتجانس أو متنافر، في حين أن المعجم

1 - J.Dubois, Mathée Giacomo et autres, *Dictionnaire de linguistique* , *larousse/ Bordas*, Paris, 2001.

يتسامى على النَّص ويقترن بمتكلم أو أكثر. يفترض الرَّصيد اللّغوي للنص وُجود معجم. ولمزيد من التَّوضيح، يتحدَّد مُعجم المتكلم بمجموع الألفاظ التي يستعملها أو يُمكن أن يستعملها في الخطاب أو الكلام. ليس الرصيد اللُّغوي لهذا المتكلم إلا قِسْما من المعجم، مجموعة فرعية عنه، عَيِّنة مِنه[2]. وداخل هذه المقابلة بين المعجم والرصيد اللغوي، يُمكن أن نتصوَّر المعجم من وجهات نظر متنوعة. ومن ثم، فإن المعجم المتصور يتعلق بمعجم المتكلم (في الحالة التي يأتي فيها النص من مَصْدر تلفُّظي واحد، أو في الحالة الَتي تتشَكل فيها المدونة من تجميع الأفعال اللّغوية المعزولة لمتكلم واحدٍ). إنّ المدونة المشكلة لا تُقدم، على أهميتها،إلا رصيدا لغويا ولا يمكن أن تشي بمعجم (الإمكانات المعجمية أو كفاءة) المتكلم. يستوجبُ الانتقال من الرّصيد إلى المعجم الأخذ في الحسبان امتلاك المتكلم رصيدا سلبيا؛ توجد مفردات عديدة مفهومة ولكنّها لا تتحققُ في أي وضعية من الوضعيات التلفظية. أما المعاجمية أو صناعة المعاجم، فإنها تقنية إعداد هذه القواميس والتحليل اللِّساني لهذه التقنية. من جهة أخرى، إن القاموس (Dictionnaire) جَرْد من مُفردات اللغة الطبيعية الموضوعة في نظام اصطلاحي أَلِفبائي ومُستقلة عن بعضها البعض، ويقدمُ مجموعة من المعلومات المقترنة بمعناها واستعمالاتها. يعدُّ القاموس امتدادا للمعجم وليس هو بمستقلٍ عنه؛ فالقاموسُ هو رصيدٌ لغوي جزئي مُستخرج من المعجم الذي هو الرصيدُ اللِّساني العام الذي تكون الوحدات المعجمية فيه الوحدات اللغوية الأساسية في لغةٍ جماعةٍ لغوية ما (...) ومهما يحاول مؤلف القَاموس الاستيعاب والاستقصاء، فإنه لا يستطيع الإحاطة بكل الرّصيد المكون للمعجم. ولذلك فإن القاموس لا يكون إلا جزئياً، لكنه على جزئيتهِ منتم إلى المعجم لأنه جزء مُستخرج منه[3]. بعد هذه الإطلالة المنهجية على بعض المفاهيم الأساسية التي بَدَا لنا الوقوف عليها ضروريا لأخذ فِكرة عن الصِّناعة المنهجية ومُكوناتها الرئيسة

2 - R.Galisson/D.Coste, Dictionnaire de didactique des langues, Hachette, Paris, 1976.

3 – إبراهيم بن مراد، **صلة التأليف القاموسي العربي الحديث بالنظرية المعجمية** في: الدراسات المعجمية، العدد السلبع والثامن، منشورات الجمعية المغربية للدراسات المعجمية، الرباط المغرب، ص.[52].

والفوارق الدَّلالية التي تقوم بينها، سننتقلُ الآن إلى دراسة التحليل المعنمي أو المكوّني الذي يُعد من أولى المحاولات المباشرة لتجزئة معنى الكلمة إلى وحدات معنوية بسيطة. وقد ظهرت في سياق ما نُسميه التحليل البنيوي الذي كان سائدا في الستينيات. وتكمن الأهمية المنهجية للتَّحليل المعنمي في الدور الذي يمكن أن يؤديه في تنظيم المادة المعجمية للقاموس وتمييز مختلف المعاني الممكنة للمعاني الغامضة.

2. المفاهيم الأساسية للتحليل المَعْنمي

1.2. التحليل المَعْنمي عند بيرنار بوتيي

يعدُّ بيرنار بوتيي من الباحثين الأوائل الذين صَرفوا جُهودهم إلى دراسة الظاهرة اللغوية متقصِّيا في ذلك بعض المسائل المتعلقة بدراسة المفردات التي تبدو على جانب كبير من الصعوبة. وقد استطاع مع ذلك أن يُحكم سيطرته على الإجراءات الكفيلة بتطويقها ويقترح بعض البدائل المنهجية لِدراسة المفردات. ويمكن أن نُمثِّل لذلك بالدِّراسة حول مفردة **المقعد** التي قام بها في بداية الستينيات والمتضمنة في **بُحوث حول التَّحليل الدلالي في اللسانيات والترجمة الآلية**[4]. وقد لاحظ بوتيي أن الفرد يطلق دائما الكُرسي على فئة من الأشياء حتَّى وإن استحال وجود كرسيين متطابقين بدقة في الواقع. وعلى هذا الأساس، يقترح مجموعة من السِّمات التي تشترك فيها التسميات الموضوعة للأشياء على الرغم من هيئاتها المختلفة. وهذه السمات هي التي تدخل في تشكيل التعريف الذي يمكن أن يوضع لمفردة **الكُرسي**.

/ المسند/ ، / على قدم/ ، / لشخص واحد/ ، / للجلوس/

إن هذه الفئة التي تضمّ السمات الثابتة هي مجموع المعانم التي تشكل المعنم المركب "كرسي". وإذا قارنا هذا المعنم المركب في الجدول أدناه بمعانم

4 - B.Pottier, *Recherches sur l'analyse sémantique en linguistique et en traduction mécanique*, Stasbourg, 1963.

مُركبة مجاورة تضمُّ، مع فارق ضئيل، المعانم نفسها، فإنّنا ننتهي إلى ضَبْط المعانم التي يميز غيابها واحدا من المعانم المركبة. وتسمَّى هذه المعانم "السمات الملائمة" أو "المعانم الخِلافية"[5] وهذا ما يمكن أن نلحظُه في الجدول الآتي:

المفردات	م1 للجُلوس	م2 على قدم	م3 لشخص واحد	م4 بالظهر	م5 بالمساند	م6 بمادة صلبة
كُرسي	+	+	+	+	−	+
متَّكأ	+	+	+	+	+	+
إسكُملة	+	+	+	−	−	+
أريكة	+	+	−	+	+	+
نمرق	+	−	+	−	−	−

2.2. رُدود أفعال السِّيميائيين والتَّصور الجديد للتحليل المعنمي

وعلى الرَّغم من أنَّ هذه الرؤية المنهجية في تحليل المفردات أسهمت في التأْسيس لمسألة الاقتراب من المفردة، فإنها أثارت ردود أفعال الباحثين في الدراسات السيميائية.و يقف على رأس هؤلاء أ.ج. غريماس الذي لاحظ أن هذا الوصف يظهر تلاقي نظامين معنمين متنافرين: نظام فضائي/ مرئي وحقل دلالي غير محدد متعلق بالبعد الوظيفي للمعانم التي تدخل في تشكيل المعانم المركبة[6]. إذا كان / للجلوس/ و/ لشخص واحد/ مرتبطين بالجانب الوظيفي، فإن كلّ المعانم الأخرى(م2، م4، م5 وم6) تُحيل على الطبيعة الجوهرية للمقعد. ويستغرب كُورْتيس من وجود مَعْنم مُشترك لكل هذه المقاعد (م1) وهو لا

5 - Anne Hénault, *Les enjeux de la sémiotique*, PUF, Paris, 1979, p.53.

6 - A.J.Greimas, Sémantique structurale, PUF, Paris, 1986, p.37.

يرتهنُ في علاقته بها إلى طبيعتها بل إلى وظيفتها. ولِاُستكمال التحليل،كان من المفروض أن يشير م1 ليس فقط إلى غايتها (=/ للجلوس/)، بل إلى مصدرها أيضا/ مصنوع للجلوس/ ، وهذا يسمحُ مثلاً باسْتبعاد الطاولة، أو الجدار أوالحجرة مادامت هذه المواضيع يمكن أن تتخذ عند اللزوم / للجلوس/ [7].

ويبدو أن البَنْينة هنا صادرةٌ مباشرة عن المقابلات الوظيفية الموجودة بين هذه المواضيع المختلفة. ولَئن كان هذا النوع من الوصف عملياً في أثناء تقصي الرّصيد اللغوي المسخَّر لتسمية الموضوعات المادية، فإنه يبدو أقل وضوحا في ما عَداها.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن نتساءل عما إذا كان مفيدا جدا أن نُقِر بمعانم على قدر قليل من التَّجريد مثل "بالمسند" أو "للجلوس" وهي في الواقع لا تملك القدرة على مغادرة مجالها المحدود؛ ومن ثم، فإنها ليست كفيلة بالانتماء إلى هذه الفئات الصغيرة المغلقة من العناصر الدلالية ذات العمومية الكبيرة والتي ينبغي، في رأي هيَالْمسلاف، أن يشكل توافقها التنظيم العميق للدلالة في لغة مُعطاة. إن نظرية المعانم على النحو الذي قدّمه به ب. بوتيي، لا تسمح بافتراض الوحدات الدنيا ذات التجريد الكافي والعدد المحدود لتقريب السيميائية من النموذج الفُونولوجي.

إن الدراسة التي قدمها بوتيي وبعض الباحثين الذين جاءوا من بعده لم تنظر إلى المفردة من منطلقات العلاقات التي تقيمها فيما بينها المعانم التي تدخل في تشكيلها بل على أساس التجزئة الاعتباطية للدلالة.

وعلى هذا الأساس، صاغ گريماس وتلامذته اقتراحات بوتيي في إطار رُؤيةٍ جديدةٍ تعقد أهمية للعلاقات التي تقيمها العناصر فيما بينها. من هذه المنطلقات، يستعمل المعنم sème للدلالة على الوحدة الدلالية القاعِدية، وهو لا يظهر بهذه الصفة إلاَّ من خلال العلاقة التي يُقيمها مع عنصرٍ آخر. ولما كانت

7 - J.Courtés, *Analyse sémiotique du discours*, Hachette, Paris, 1991, p182

وظيفته خِلافية، فإنه لا يُدرك إلا في إطار البنية. إذا أخذنا على سبيل المثال : "ابن" و"بنت"، يمكن أن نقول إنهما يضمَّان مَعْنَما مُشتركا على المحور الجيلي (في علاقة بنوة إزاء أحد الوالدين أو كليهما) ومعنما مختلفا على محور الجنس :الذكورة في الحالة الأولى، والأنوثة في الحالة الثانية.حتى نوضِّح هذه المسألة، نستعين بالمثال الذي ضربه كورتيس في كتابه السِّيميائية السردية والخطابية[8]:

	رجل	امرأة	طفل	أب	أم	ابن	بنت
إنساني	+	+	+	+	+	+	+
ذكر	+	−	°	+	−	+	−
أنثى	−	+	°	−	+	−	+
بالغ	+	+	−	+	+	°	°
لا بالغ	−	−	+	−	−	°	°
إنجاب	°	°	−	+	+	−	−
بُنوة	°	°	+	−	−	+	+

ترتبط دلالة المفردات بالمعانم التي تنضوي تحتها. ويكفي أن نستبدل عنصرا داخل المجموعة المعنمية بعنصر آخر ليتغيَّر المعنى كُليا. ولئن كانت اللسانيات تقر منذ سُوسير بأن العلامات تدرك من منطلقات النظام الذي تحتكم إليه، فإن المضمون الدلالي للوحدة يخضع بشكل كامل إلى العلاقات التي يقيمها مع مَضْمون الوحدات الأخرى. ومن ثم، فإن المفردات التي تشترك مع مَعْنم أو معَانم عديدة تجمع من خلال علاقة وَصْلية تؤسس لانتمائها إلى نفس الحقل. غير أن النظام المعنمي في كليته لكل مفردة يتضمن حضور عدد محدد من المعانم وغياب معانم أخرى. ويعمل هذا الغياب، من منطلقات قاعدة معنمية مشتركة، على تَجلية مُقابلة تفصِّل مفردة معطاة عن المفردات الأخرى من

8 - J.Courtés, *Introduction à la sémiotique narrative et discursive*, Hachette, Paris, 1976, p.47.

المجموعة[9]. يجدر بنا أن نميز في هذا السِّياق بين المعانم النووية والمعانم السياقية. تدخل المعانم النووية في تشكيل النواة المعنمية التي تستعمل للدلالة على حضور الحد المعنمي الأدنى القار. ضمن هذا السياق تدل المعانم المركبة على تفاعل النواة المعنمية بالمعانم السياقية التي ترتهن في وجودها إلى الدور الذي يؤديه السياق باعتباره وحدة خطابية موجودة في وحدة أرقى من المفردة. وحتى نوضح هذه المسائل نستند إلى مثال ضربه غريماس [10] بخصوص مقطع من الخطابُ في غاية البساطة :

الكلب ينبح

إن التحليل السياقي لـ نبح الذي يسمحُ لنا باستنباط النواة المعنمية ن م1 وليكن "نوعا من الصراخ" يبرز وجود فئتين سياقيتين يمكن أن تتفاعل مع نبح. فئة الحيوانات: الكلب، الثعلب، ابن آوى وفئة البشر: الرجل، ديوجين، هذا الطموح. تتميز كل واحدة من الفئتين بحضور مَعْنم مشترك. يتعلق الأمر في الحالة الأولى بمعنم "حيواني" وفي الثانية بمعنم "إنساني". ويشكل تفاعلهما مع النواة ن م1 معنمين مركَّبين مختلفين:صراخ الإنسان/ صراخ البشر.

1.2.2. التحليل المعنمي بين الوضع والاستعمال.

من الواضح أن المفردة تُغطي مجموعة من المعانم ،و هي بوصفها إضمارا سابقا في الوجود على التَّلفظ تبدو كمجموعة من المسارات الخطابية الممكنة والتي في انطلاقها من نواة مشتركة تفضي في كل مرة بفضل لقائها بالمعانم السياقية المختلفة إلى عدد من التَّحققات في شكل معانم مركبة (...). غير أن كل تحقق منتظِم يعلق مجموعة من الإمكانات غير المستغلة وتكون جاهزة للتَّحيين في هذا السياق أو ذاك.

9 - M.Bonan Garrigues, J.Elie: *Essai d'analyse sémique in Cahiers de lexicologie*, volume XIX 1971, II, Didier-Larousse, Paris, 1971, p.72.

10 - A.J.Greimas, Sémantique structurale, PUF, Paris, 1986, p.51.

ومهما يكن سِياق الاستعمال، فإن المفردة تعد سَلَفا وحدة دلالية حقيقية تتضمن نواة معنمية قارة نتعرف عليها من خلالها بهذه الصِّفة وفي أي موضع. ولتوضيح هذه المسألة، نستعين ببعض الأمثلة ضربها جوزيف كُورْتيس في معرض حديثه عن التّلْوينات الدلالية التي تأخذها المفردة من خلال تفاعل المعانم النووية بالمعانم السِّياقية[11].

و لتكن المفردة plateau بمعانيها الثلاثة الممكنة:

أ. صِينية تُستعمل لوضع الأشياء ونقلها.

ب. هضبة.

ج. خشبة يُعرض عليها المشهد.

تشتغل هذه المعاني على بعض المعانم النووية المشتركة :/ شيء (طبيعي أو اصطناعي)/ + أفقية + سماكة...الخ. وهذا لا يصدق على كل الحالات، ذلك أنه لا يمكن أن نحدِّد دائما نواة دلالية تشترك فيها كل المعانم المركبة لمفردة معطاة، وفي هذه الحالة، يسعى المعجم إلى مضاعفة المتجانسات اللفظية. إن المعجمي الذي يخضع لقيود الاستعمال يكون في وضع مرتبك:فهو من جهة يستغل التمفصلات التركيبية والدلالية لتصنيف السِّياقات من أجل استنباط المعانم والمعانم المركبة، وهي تمفصلات مهما كانت درجة إتقانها لا تستنفذ بشكل كلي المدونة الموضوعة قيد الدرس، ومن جهة أخرى، فإنه لا يمكن أن يخرج عن سلطان المعطيات السوسيوتاريخية والثقافية التي تَشِي بمعانٍ غير متوقعة بنيويا ولا يستطيع أن يدمجها في خطاطته على نحو ما نلحظ ذلك في مفردة :«grève» (أرض مُسَطحة تقع على ضفة نهر) و«grève » (="التوقف الإرادي والجماعي عن العمل") . تُجمع المعاجم على اعتبار الوحدتين من المتجانسات اللفظية، مُقِرّة في ذلك بأنهما لا تملكان نفس النواة المعنمية وتقترح

11 - J.Courtés, *Op.cit* ,190.

مدخلين متميزين(grève1 وgrève2) . وهذا يصدق أيضا على نحو تقريبي على« louer » الذي يدل تارة على "الإقرار بالإعجاب الجدير"(=louer 1) وتارة على "استأجر"(=louer 2) مع اختلاف لا يمكن أن نتغاضى عنه louer 1 مشتق من اللاَّتينية laudare وlouer 2 من locare ؛ وقِسْ على ذلك masse "مادة صلبة أو عجينية" من اللاتينية massa أو "مطرقة خشبية كبيرة..." من اللاتينية الشعبية mattea) وهذا ما نلحظه أيضا في détacher الذي يمكن أن يقرأ إما ضدا لـ attacher أو فعلا دالا على إزالة الأوساخ. ومع ذلك فإن حالة grève مختلفة جدا عن تلك المتعلقة بـ louer أو masse أو détacher ذلك أنه في لحظة معينة من التاريخ الفرنسي أضحى معنيا grève متقاربين إذ كانت تعني في القرن التاسع عشر المكوث في ساحة غريف Grève (التي كانت تحيط بباريس نهر السين Seine على مستوى فندق المدينة Hotel de ville الحالي) للحصول على منصب عمل. ومن ثم فإن المفردتين لا تُدركان على أنهما تملكان نواة معنمية مُشتركة :إن الفصلة آتية ليس من الخطاطة، بل من الاستعمال.

من هذه المنطلقاتِ يتساءلُ كُورْتيس عما إذا كان ضروريا أن نستنبط في كل مرة ولكل مفردة نواة معنميّة قارة ونقف على أساس هذا وفي، مقابلهِ على المعانم السِّياقية ؟ ويبدو أن هذه الخطة تفرض نفسها متى اشتغلنا على اللغة وهذه هي حالُ المُعْجماتي الذي يسعى إلى التحديد الدلالي و/ أو التركيبي لكل المعانم المركبة الممكنة للمفردة، وباللّجوء إلى الاشتغال على الثّوابت (المعانِم النووية) والمتغيرّات (المعانِم السِّياقية)، فإنه يحافظ على الأقل على المفردة كوحدة مضمون؛ إن القاموس الذي يعطي فكرة عن وضع اللغة حتى وإن كانت في شكل خطابات خاصة، يلقى قاعدة مضمونة نسبيا، وفي انتقاله من مستوى اللغة إلى مستوى الخطاب، يلاحظ كُورتيس أن التمييز لا يُطرح على الإطلاق. ولتكن المفردة "نجمة" التي يمكن أن نتوقع لها معانم مركبة عديدة كما تدل على ذلك الملفوظات الآتية:

1. هذا النور الباهت الذي يسقط من النُّجوم
2. الشمس نَجْمة
3. جنرال بنُجوم
4. إنها راقصة نَجْمة

نجدُ في الملفوظ الأول المفهوم الشائع للنَّجمة الذي يعمل على الأقل على تجْلية السِّمات الآتية:/ شيء/ +/ سماوي/ +/ لماع/ +/ ليلي/ +/ قليل الإضاءة/ ؛ ويقابل هذا المعنم المركب القمر الذي يتضمَّن على الأقل سِمة خلافية:/ على قدر من الإضاءة/ والشمس بوجه خاص التي تتضمن السِّمات/ كثيرة الإضاءة/ و/ نهاري/ . وتتموقع الجُملة الثانية في سياق مغايرٍ تماماً وهو خطاب عِلْم الفَلك: إن المعانم / قليل الإضاءة/ ، / لَماع/ و/ لَيْلي/ تفقد في هذا السياق ملاءمتها وتخلي المكان لسمة / إنتاج الطاقة/ مثلا؛ غير أن النجمة في 1 و2 تحافظ على المعنمين الأولين:/ شيء/ +/ سماوي/ التي تسمح لنا أن نتعرف فيها على الكوكب (= "كل جسم سماوي طبيعي مَرْئي" وهي كلمة اختارها رُوبير كخاصية أولى تعريفية للنَّجمة. لا توجد في الملفوظ 3 أية سِمة مَعْنمية مُسْتنبطة من 1 ربما نستثني من ذلك معنم/ شيء/ (ألا يختفي هذا من "فندق ذو أربع نجوم؟"

في 4 لا يبقى إلا مَعنم واحد / لماع/ ولكّنه مأخوذ في معناه المجازي:يتعلق الأمر براقصة سُمعتها تلمعُ وموهبتُها أيضا.

3.2. مادة الرأس بين الوضع والاستعمال في القواميس العربية

في إطار هذا التوجه المنهجي العام، سنسلِّط بعض الأضواء على مفردة الرأس في المعاجم العربية . حتى وإن اخترنا هذه المفردة بشكل اعتباطي، فإن الذي يهمنا بالدرجة الأولى في هذا الدراسة هو أن نُبين الكيفية التي تعاملت بها بعض القواميس العربية مع هذه المادة، ونقدم بعض البدائل المنهجية في حالة

وجود اضطرابات أو التباسات من شأنها أن تُشَوش على القارئ فهم ما يبحث عنه، مستلهمين في ذلك الإنجازات العلمية التي حققها گريماس في كتابه الدلالية البنيوية الذي حَمل التّباشير الأولى للدلالية المُعجمية[12].

إن تحليل مختلف الأمثلة التي اقترحتها القواميس العربية لِعرض شروحاتها لمفردة "رأس" يبين أنها تستبعد النواة المعنمية للرأس(عضو من الجسم) وتكتفي بمَعَانمه السِّياقية، و نعني بذلك التنظيمات المعنمية التي يمكن أن تحينها كلمة "رأس" في مختلف توزيعاتها الممكنة، والتي يمكن أن ندركها في انتقال الشارح من مستوى اللغة إلى مستوى الخطاب. ونستثني منها **المنجد في اللغة العربية** [13] الذي اقتصر على تعريف روبير وتصرَّف فيه، يوحي بأنه أقر المعانم السِّياقية في الثقافة الأوروبية، وسنوضح هذه النقطة لاحقا. نشير في البداية إلى أن المنجد حدد الرأس على النحو الآتي:

رأس:ج رُؤوس وأرؤس:ما يلي الرقبة من أعلاها في الإنسان ومن مُقدمها في الحيوان، فيه الفم والدّماغ وأعضاء الحواس ما عدا اللَّمس.

وضع المنجد الرأس في قلب المقابلة إنسان/ حيوان المضبوطة معنميا بالعمودية (الأعلى) عند الإنسان والأفقية (المقدمة) عند الحيوان. يُحافظ الرأس في هذا الملفوظ على نوياتها المعنمية المدركة من خلال النظر والشم والذوق والسمع، ويستثْني منها ما تعلق باللَّمس. إن المنجد، في هذا السياق، لا يغادر الإطار العام الذي أقره الوضع، ولا يخرج عن الحُدود التي تضطلع بها الوظائف الطبيعية للأقسام الناتئة في الوجه. وإذا انتقلنا من الوضع إلى الاستعمال، فإننا نلاحظ أن المادة المعجمية المخصصة لمفْردة الرأس في المنجد، جاءت مُبعثرة تحيل مرة على معانم الفَوْقية ومرة أخرى تحيل بفعل الاستعمال على معانم سياقية جديدة. وقد عاينَّا في سياقات عديدة هذا التداخل في المستويات الذي يؤثر سلبا في تعامل

12 - A.J.Greimas, *Sémantique structurale*, PUF, Paris, 1986.

13 – صبحي حموي، **المنجد في اللغة العربية** ، دار المشرق، بيروت لبنان، 2001.

القارئ مع هذا المدخل أو ذاك، ويعمل بشكل سَافر على إِحداث خُروقات على مستوى وحدة الحقل الدلالي. حتى نبين الأهمية التي يكتسيها التحليل المعنمي في الصناعة المعجمية، ونقدم عناصر مُقنعة عمدنا إلى ترتيب المادة في هذا المعجم إلى مجموعات متجانسة دلاليا تتضمَّن قَواسم مَعْنمية مشتركة.

تشتمل المجموعة الأولى على معنم / الفوقية/ +/ التحتية/ ويمكن أن نقدمها على النحو الآتي:

أعلى نقطة، القسم الأعلى من شيء، قمة: رأس قبة جرس، رأس جبل، رأس شجرة. شيء مُكور كرأس إنسان: رأس ثوم. طرف: رأس قضيب.طرف رفيع دقيق: رأس إِبرة، رأس مِسمار. زاوية ناتئة: رأس سندان. موضع تبغ في غليون: رأس غليون. فرد من الحيوان: لسان من الأرض داخل في البحر: رأس الرجاء الصَّالح رأس مثلث: زاوية تتألف من تقاطع ضلعيه فوق القاعدة. رأس جِسر: موقع حربي مؤقت تحتله قوة عسكرية استعدادا لاقتحام أكبر أو لإنزال جيوش. رأس زاوية: مُلتقى ضلعيها. رأس شَمَعدان: القسم الأعلى والمتحرك من شمعدان حيث توضع الشَمعة. رأس صخرة :جزء صخري من صخر، يكون قريبا من الشواطئ ويشكل خطرا على الملاحة. رأس عَمُود: تاجه رأس قبة: في هندسة البناء: قطعة من هيكل بناء تشكل ركن سقف وتغطي زاوية أو زوايا السطح البارزة. رأس حيزوم: ما يُنشأ في مقدم سفينة بغية الإمداد بنقط الارتكاز اللازمة لترتيب الصاري المائل، وقيل هو مقدم السفينة الذي يشق الماء. رأس ذهبي: مرجان مذهب.. رأس نَوَوي: القسم الأعلى من مَقَاذيف نووية مستطيلة. رأس هَوائي: الطرف الأعلى من الهوائي. سمت الرأس: نقطة من الكرة السَّماوية واقعة على شاقول المكان فوق الأفق. أم الرّأس: غلاف الدماغ. قلبه رأسا على عقب:جعل أعلاه أسفله. رأس كَبش: آلة حربية لهدم الأسوار.

وتتضمن المجموعة الثانية معنمَيْ /المعرفة/ و/الجهل/ و/اللاَّمبالاة/ ويمكن أن نعرضها على هذا النحو:

عقل: ما عِنْده رأس. بال، خاطر: دارت فكرة في رأسه. موجه، محرك، عقل مدبر: كان رأس هذه المؤامرة. رأس الفِتْنة: أساسُها. تعب الرأس: إجهاد فكري مرهق، إرهاق عقلي. ركب رأسه: مضى على غير هُدى لا يطيع مرشدا. أضاع رأسه: فقد عقله. جمح إلى ما أراده فلم ينثن عنه. لوى رأسه: أبدى عدم اهتمام.. رأس الحكمة مخافة الله: أسمى درجات الحكمة أن يخاف الإنسان ربه.

أخذ برأس فلان:أخذ بِتَلابيبه.

وتتضمن المجموعة الثالثة مَعَانم / الاتصال/ +/ لا وساطة/ +/ حتمية/ +/ خفة/

فَعَله رَأْسا : ابتداء دون إبطاء. عاد رأسا إلى بيته: تَوًّا. صوب رأسا: مباشرة، حالاً. من المنتج إلى المستهلك: دون وسيط. باب يفتح رأسا على الحديقة: دون فاصل. أجاب رأسا على السؤال: بدون تردد. إدارة تؤدي رأسا إلى الإفلاس: حتما، لا محالة. قفز رأسا على عقب: قفز بخفة ورشاقة مستديرا على نفسه في قلبة كاملة.

أما **معجم اللّغة العربية المعاصرة**[14]، فقد عرف الرأس على النحو الآتي:

جزء أعلى من البدن، يحوي العينين والفم والأنف والأذنين وبداخله المخّ، مجتمع الخلقة "أصغى إليه برأسه- {وَلاَ تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ}".

واقتصر صاحبه فقط على الجانب الفيزيائي المادي للرأس الذي يتقدمه معنم الفَوْقية الذي يَضُمّ العَمُودية (العينين والفم من الأعلى إلى الأسفل) ثم

14 – أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة، 2008.

الأفقية (الأنف الذي يوسط الأذنين) واستبعد تماما الأبعاد الدَّلالية لمادة الرأس في السِّياقات الأخرى.

ويَنْحو **المعجم الوسيط**[15] نحواً آخر في تعامله مع مادة الرّأس، فهو لا يطلع القارئ على نواتها المعنمية ويتقيد فقط بمعنم / الفوقية/ الذي يحدد الوجهة الدلالية التي تأخذها الرأس، على مستوى الاستعمال في اقترانها بالمعنم السياقي؛ فهي تارة تدلُّ على النُّبل، وطورا على الزَّمنية، وتارة أخرى على العدد، وطورا آخر على الاستثمار، وهذه المعانم السياقية لاَ علاقة لها بالرأس، ولا بأعضائه الوظيفية ولا بنوياتها المعنمية.

الرأس من كل شَيْء: أَعْلاه. وسيِّد القوم. ورأس الشهر والسنة: أول يوم منهما. ويقال: عنده رأس من الغنم: فَرْدٌ منها. وعنده خمسة أرؤس. (ج) أرؤس، ورؤوس. ورأس المال: جملة المال التي تستثمر في عمل ما.

من منطلقات هذه الوقفة، وهذا التوزيع المَعْنمي إلى مجموعات دالة الذي بَاشَرناه، يُمْكن أن ندرك الأهمية المنهجية للتحليل المعنمي في ترتيب مختلف المسارات الدلالية للمدخل، وننظِّم المادة المعجمية بشكل يضمن لنا الوقوف عند كل الاختيارات التي يمليها هذا المدخل أو ذاك بطريقة محكمة. وعلى هذا الأساس، فإن القارئ لا يلقى مَشَقة في الانتقال من مستوى إلى آخر وفي ضبط القيم الدلالية للعناصر التي تدخل في تشكيل كل مستوى.

وكان من الممكن أن تستقيم أمور هذه القواميس في تعاملها مع هذه المادة لو تَمَّ فقط استغلال البدائل التي تقدمها المعاجم التراثية في أثناء تصدِّيها لمادة الرأس، والإفادة على الأقل مما تقدمه من مادة معجمية غزيرة، وشروحات وافية لاسيما تلك المتعلقة بالمعاني الصورية.و هي لا تتوقف فقط عند النويات المعنوية للمفردة بل تتعدَّاها لتشمل مختلف استعمالاتها.

15 – إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة إصطانبول، تركيا.

ومن ضمن هذه المعاجم نذكُر **المخصَّص** لابن سيدة[16] الذي يقدم شرحا مفصلا للرأس من خلال ضبط كل مكوناته، ما ظهر منها وما بطن، وتتخلل هذه المفردات معانم سياقية قد تحافظ على النواة المعنمية وقد تنزاح عنها، على نحو ما نَلْحظ ذلك في المَسارات المعنمية الآتية:

أَعْلى الرجل: رأسه،

رأس الإنسان قُلته والجمع قلل وقلال..

و في الرأس الهامةُ: وهي وسط عظْم الرأسِ والجمع هام وهامات.

هامة الراكب إذا بدا لك رأسُه في الصحراء.

الفروة:جلدة الرأس فباطنها الأَدمة.

لحمة الرأس:ما بطن من جلده مما يلي اللحم.

إن هذه السياقات التي يعرضها ابن سيدة في هذه الأمثلة تبرز المعنى الصوري للرأس في بعده المعنمي النووي الثابت :و يمكن أن نحتفظ بالنواة : / طرفية/ +/ فوقية/ التي تشتغل على مستوى ظاهر الرأس.ثم ينتقل بعد ذلك إلى باطنه الذي يتحقق عبر المسارات المعنمية الآتية :

الدِّماغ: حَشْو الرأس والجمع أدمغة ودمغ. وفي الرأس الجمجمة وهو العظم الذي فيه الدماغ. ضربت مكوك رأسه على التشبيه بالمكوك من الأواني. النَّعامة: الجلدة التي تغطي الدماغ. الفراش ما تَطاير من عظام الرأس. خشارم الرأس: ما رق من السحاء التي تكون في خياشيم الرأس، وفي الرأس المفرق وهو مجرى فرق الرأس من الجبين إلى الدائرة.

ويُعرِّج بعد ذلك إلى ظاهر الرأس ليحدِّد عبره شكله:

16 – ابن سيده، **المخصص**، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.

والدائرة هي التي في وسط الرأس التي ينتهي إليها فرق الرأس وفيه القرنان. وهما ناحيتا الهامة وحرفاها عن يمين وشمال، وفيه الفودان وهما جانبا الرأس. كل شق فود.

بناء على هذا، يمكن أن نضيف إلى ما سبق مَعْنم الدَّائرية:

/ دائرية/ +/ طرفية/ +/ فوقية/

ثم لم يلبث ابن سِيدة أن يقدم بشكل تراتبي تفاصيل دقيقة بمفردات تعكس مواقع العناصر الظاهرة من الرأس:

الفود: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن. والجمع أَفْواد. الحفافان: ناحيتا الرأس والجمع أحفة. المذوران: ناحيتا الرأس مثل الفودين. وفيه صفحاء، وهما جانباه من أسفله والحيود: ما شخص من نواحيه واحدها حيد والقمحدوة هي الناشزة فوق القفا بين الذؤابة والقفا قد انحدرت عن الهامة إذا استلقى الرجل أصابت الأرض من رأسه. وهي حلاوة القفا. والقصاص: منتهى منبت الشعر في الرأس مما يلي الوجه. سرير الرأس مستقره في مُركّب العنق. الطبق: موصل العنق والرأس والجميع أطباق. النصل: الرأس بجميع ما فيه. الفائق: عظم صغير في القفا في مغرز الرأس من العنق...

بعد هذه التحديدات،ينتقل إلى الجبهة التي تحمل نواة معنمية وتتمثل في القسم /الأمامي/ و/الأعلى/ من الرأس وقد وردت الجبهة مقترنة بمعنمين سياقيين:

الجَبهة من الإنسان :موضع السجود والجمع جباه.

رجل أَجْبه:عريضُ الجبهة حسنُها.

يحدد الأول الوظيفة الدينية التي تؤديها الجبهة في أثناء اتصال بالأرض. سَجَد: انحنى خاضعا، وضع جبهته على الأرض.

ويحدد الثاني الوظيفة الجمالية للجبهة.

ثم ينتقل ابنُ سِيدة إلى الحديث عن الأشكال التي تتخذها مفردة الرأس:

الرأس الأكْبس:المستدير الضخم. الرأس المؤوم: وهو الضخم المستدير. وفي الرؤس الصعَل: وهو صغر فيه مع دقة في العنق. إنه لصندل الرأس: عظيمه. رأس صِبِرٌّ: صلب شديد. الصُّعبور والصعروب: الصغير الرأس من الناس. الصعنب: الصغير الرأس والمفرطح والمفلطح والأفطح.

إن السِّياقات التي يعرضها ابن سِيدة في هذه الأمثلة تبرز المعنى الصوري للرأس في بُعْده المَعْنمي النَّوَوي الثابت.

الشعر: نبتة الجسم مما ليس بصوف ولا وبر، الواحدةُ شَعْرة... الغفر: الشعر اللين الرقيق الذي يبدأ في رأس الصبي، وكذلك هو من الشيخ إذا تساقط عن رأسه فلم يبق فيه إلا ذلك الشعر وقد يكون في الفراخ. الضَّفيرة: كل خصلة من الشعر على حدة والجمع ضفائر. الزَّعر :قلة الشعر في الرأس. الصَّلع: ذهاب الشعر من مقدم الرأس، وقد صلع صلعا وصلعة فعو أصلع وامرأة صلعاء. والصَّلْعة موضع الصَّلْع71. وفي باب التشعّث يعرضُ ابن سيدة إلى الشعث وهو التباد الشعر واغبراره وحف رأس الإنسان إذا شعث.

كما تناول ما يعرض للشعر من الحكة ونحوها، والامتشاط والفلي ونحوهما من العلاج:

فُلان يتهمَّمُ رأسه أي يفليه وهممت المرأة في رأس زوجها: فَلته. فليت رأسه فليا: بحثته عن القُمل. والتفت أيضا إلى الشيب ونعوته. لفع الشيب رأسه: شمله. استطار الشيب في رأسه: انتشر. أخلس رأسه: ابيض بعضه (77). اشهب رأسه واشتهب: غلب بياضه سوادَه (78).

وتعرَّض أيضا إلى حَلْق الشَّعْر:

صَلْمع وصَلْقع وجَلْمط وزلق الرجل رأسه حَلَقه. ثم التفت إلى الأذن وما فيها وصفاتها والوجه (88)

كما نلاحظ، فإن ابن سِيدة عَمد إلى الترتيب بالاشتراك وذلك لقناعته بالعلاقة الموجودة بين المفردة الموضوعة في المدخل الرئيس، والمداخل الأُخرى التي لها صِلة به. ويمكن أن نلاحظ أيضاً أن الشّروحات التي قدمها في المخصص للمفردات تقتصر فقط على النّوويات المَعْنوية التي يُمكن أن تشكل قاعدة مُعجمية أساسِية للمعاجم العَربية الحديثة التي لم تفد من الدراسة المهمة التي قام بها ابن سِيدة.

ومن الواضح أن المعاجم العربية القديمة تتفاوت في عرض المادة المعجمية. ما نلقاه في هذا المعجم من مادة قد يغيب في معجم آخر، وقد يقدم شرُوحات إضافية عنه على نحو ما نلمس ذلك في **القاموس المحيط** للفيروزبادي و**لسان العَرب المحيط** لابن منظور في أثناء عرضهما لمدخَل الرّأس:

الرَّأس: أَعْلى كُلّ شيء(...). وبيت رأس: بالشّام وينسب إليه الخمر. ورأس عين: بالجزيرة. ورأس الأكحل: باليمن. ورأس الإنسان جبل بمكة. ورأس ضأن: جبل لدوس. ورأس الحمار: قرب حضرموت... ورُمِيتُ منك في الرأس: ساء رأيك فيَّ. وذو الرأس: جرير بن عطية. وذو الرأسين: خُشين بن لأْي، وأمية بن جُشَمَ. ورأس المال أصله[17].

تقتصر شروحات المدخل في البداية على المَعْنم السِّياقي /الفوقية/ متجاوزة بذلك المعنى الصوري للرأس. ولضمان وحدة الحقلِ الدلالي يجنح الشارح إلى عرض مختلف السِّياقات التي ورد فيها الرأس وقيدها الاستعمال. وإذا كانت مُفردة الرأس في سياقاتها الجديدة تحتفظ بِمَعْنم الفوقية للدلالة على

17 – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت 2004. ص. 571.

العُلُّو والبُروز، فإن دُخولها في علاقة تركيبية بأسماء مكان نكرة أو حيوان أو إنسان يفضي إلى إضافة مَعْنم سِياقي جديد يدلّ على المعرفة. وعليه، فإن علاقة التضايفِ القائمة بين مُفردة الرأس من جهة والمفردات بيت، عين، الأكحل، الحمار تكرِّس وَضْعا لُغويا قيدهُ تداولُ أسماء العَلَم. وما يلفت انتباه قارئ هذه الشروحات المنسجمة دلاليا هو تحلُّلها لِاُستعمال الرأس في عبارة تنزاح تماما عن نواته المعنمية والمَعْنم السِّياقي المحدَّد سلفا، فتخترق بفعل هذا الاستعمال الجديد وحدة الحقلِ لتدُلَّ على التقييم السِّلبي: **سَاءَ رأيكَ في**. ثم لم يلبث الشَّارحُ أن يعود من جديد إلى الوضع الأولِ، ولكن هذه المرة باستعمال الرأس في المفرد، ثم في المثنى في علاقة تضايف بِـ ذُو الملازمةِ للإضافةِ إلى أسماء العَلَمِ الظاهرةِ :

ذُو الرأس: جَرير بنِ عَطية. وذو الرأسيْن: خُشين بن لأْي، وأمية بن جُشَمَ. ثم يغادر الشارح هذا المستوى للانتقال إلى مستوى آخر يشي بظهور معنم جديد من خلال وضع الرأس في تركيب جديد قيده الاستعمال. **إضافة المال إلى الرأس : رأس المال أيْ أصلُه.**

إنَّ قراءة سريعةً في هذه الشروحات تقودنا إلى الإقرار بوُجودِ تداخلٍ في المستويات، وهو ربما ناتج عن الفترات المتقطعة التي كُتبت فيها الشروحات، وإلى المدونة المفتوحة التي يشتغلُ عليها الشَّارح الذي يرغب في تسجيل أكبر قدر من المُستعملِ من الكلام. وإذا انتقلنا إلى لسان العرب، فإننا نلاحظ إقبال ابن منظور على تدوينِ كلّ ما يحيط بمفردة الرأس، وعلى تسجيل ما لم يُسجل سلفا، واستبعاد بعض الشروحات المُهمة المتعلقة بأسماء العَلَم. وهذا ما نلحظه في أثناء قراءتنا مَدْخل الرأس:

رأسُ كلّ شيءٍ: أعْلاه. قال أبو عبيد: إذا اسودّ رأس الشاة فهي رأساء، فإن ابيض رأسها من بين جسدها فهي رَخْماء ومخمرة. وُلد ولدُها على رأس واحد أي بعضهم في إثر بعض، وكذلك ولدت ثلاثة أولاد رأساً على رأس أيْ واحداً في إثر الآخر. ورأس عين ورأس العين كلاهما موضع. يقال جاء فلان من

رأس عين إذا كانت عيناً من العُيون نكرة، فأما رأسُ عَين هذه التي في الجزيرة فلا يقال فيها إلا رأس العَين. أنت على رئاس أمرك أي أوّله، والعامةُ تقول على رأس أمرك. رمي فلان منهم في الرأس أي أعرض عنه ولم يرفع به رأسا واستثقله؛ تقول: رميت منك في الرأس على ما لم يسم فاعله أي ساء رأيك في حتى لا تقدر أن تنظر إلي. وأعد كلامك علي من رأس ومن الرأس وقال لا تقول من الرأس والعامة تقوله. وبَيْت رأس :اسم قرية بالشام كانت تباع فيها الخمور[18].

وإذا قابلنا هذه المادة بما جاء في معجم القاموس المحيط مع أخذ الفارق الزمني للمعاجم بعين الاعتبار، فإننا نلاحظ وجود إضافات استدعتها ضرورةُ الاستعمالِ والتداولِ. وقد عمل ابن منظور على تَجْليتها منذ البداية:

إذا اسودَّ رأسُ الشاةِ فهي رَأْساء، فإن ابيض رأسُها من بين جسدها فهي رَخْماء ومخمرة.

تحمل هذه الشُّروح فضْلاً عن مَعْنم الفوقية معنماً سياقياً متصلا بمفردة رأساء، وحاملا للسِّمة اللونية التي تُتخذ من باب إطلاق تسمية الجزء على الكل فيقال رأساء ورخماء ومخمرة.

ويأتي مَعْنم التتابع علامةً مميزة قيَّدها السِّياق الاجتماعي في الاستعمال. ويظهر هذا جليا في الشروحاتِ الآتية:

وُلد ولدها على رَأس واحد أي بعضهم في إثر بعض، وكذلك ولدت ثلاثة أولاد رأسا على رأس أي واحداً في إثر الآخر.

ويُنهي ابن منظور شروحات هذا المدخلِ بالتَّحديدِ المكاني لبيت رأس:

وبيت رأس :اسم قرية بالشام كانت تباع فيها الخمور.

بَيْت رأس مُفردة مركبة من كلمتين، ولكنها تُشكل وحدة دلالية واحدة تحيل على اسم عَلم لِفضاء قريةٍ بالشام. ويُمكن أن نفترض، في هذا السياق، بأن

18 – ابن منظور، **لسان العرب المحيط**، دار صادر، بيروت.

مفردة الرأس تشكل علامة مميزة لهذا البيت تستمد وجودها من مَعْنم العُلو الذي يُميز هذه القَرية عَنْ باقي القُرى المتَّسمة بالمعنم السّفلي. إن النواة المعنمية للرأس المتقدمة على التَّسمية تجعلنا نفترضُ أن هذه الفَضاءات تقع في المرتفعات. يقدم هذا التحديدُ الذي يعرضه **لسان العرب** إضافات تُوبُولوجية بالقياس إلى الشروحات التي عرضها القاموس المحيط، والتي لا تحدد بيت الرأس تحديدا واضحاً. ويكفي أن نقدم تحليلا معنميا للشرحين لنتأكد من ذلك:

القاموس المحيط: / الفوقية/ +/ السعة/ +/ الأفقية/ +/ (السوائل الكُحُولية)/

لسان العرب: / علم/ +/ الفوقية/ +/ السعة/ +/ الأفقية/ +/ الاستهلاك (السّوائل الكحولية)/ .

إن المفردة بوصفها إِضْمارا سابقاً في الوجود على التَّلفظ تبدو كمجموعة من المسارات الخطابية الممكنة، والتي في انطلاقها من نواة مُشتركة تُفْضي في كل مرة بفضل لقائها بالمعانم السياقية المختلفة، إلى عدد من التَّحقيقات في شكل معانم مركبة تحيل على الإمكانات اللّغوية التي تستغل في تسمية الأماكن.

خاتمة

تأسيسا على كل ما سبقَ من ملاحظاتٍ، يمكن أن يعملَ صانعُ القاموس على هذه الخلفية المنهجية التي تبنَّتها بعض البحوث لِدَرْك الفروقات المعنمية للمفردة الواحدة، وضبط مَسَاراتها التي يحدِّدها الاستعمال ؛ وتبدو هذه المسألة واضحة مادامت الوحدات المعجمية تخضع لإكراهات السِّياق اللغوي والاستعمال الاجتماعي. ومن ثم،"فإن التركيب هو الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها تصور المعنى والتحكم في الدلالة"[19]. ولا يمكن أن نتحكم فيها إلا من خلال ضبطِ الوحدات الأولية للمَعنى التي تُعد العَتبات الأولى التي تُفضي

19 - A.J.Greimas, Du sensII, Seuil,Paris, 1983, p.22.

إلى ممكناتها الدَّلالية. ولئن كانت هذه الوحدات لا تحددُ لذاتها لهذه الاعتبارات، فإن أغلب صُعوبات التَّحليل المعنمي في اللغة، تأتي من استحالة تشكيل وحصر مدونةٍ مُغلقة يتحدَّد معها موضوع الدراسة. ومع كل ذلك، يمكن تجاوز هذه الصعوبات بالتّعامل مع التركيبات المعجمية كما لو أنها مغلقة؛ إن الذي يهم من كل هذا هو أن التحليل المعنمي كشفَ عن إمكانات منهجية كبيرة، وأحدثَ طريقةً جديدة في التعاملِ مع إعداد المعاجم. وستعمل نتائجها بكل تأكيد على بَلْورة رُؤية منهجيةٍ سيكون لها مردودٌ إيجابي في صياغةِ المعاجمِ.